من صحيح ا

تقديم

أناهير بنت عبي

غفر الله لها ولوا

١٤٣٦ من الهجرة النبوية

بسم الله الرحمن الرحيم

تقدّم لكم مدوّنة (عِلْمٌ يُنْتَفَعُ بِهِ) تفاريغ من دروس الأستاذة الفاضلة

أناهيد بنت عيد السميري حفظها الله

ونسأل الله أن ينفع بها.

https://anaheedblogger.blogspot.com

تنبيهات هامة:

- منهجنا الكتاب والسنّة على فهم السّلف الصالح.
- هذه التّفاريغ من عمل الطّالبات ولم تطّلع عليها الأستاذة حفظها الله.
- الكمال لله -عزَّ وجلَّ-، فما ظهر لكم من صواب فمن الله وحده، وما ظهر لكم من خطأ فمن أنفسنا والشّيطان، ونستغفر الله.

والله الموفّق لما يحبّ ويرضى.

اللقاء الثاني عشر

بَابُ إِثْمِ مَنْ آوَى مُحْدِثًا

بابُ مَا يُذْكَرُ مِنْ ذَمِّ الرَّأْيِ وَتَكَلُّفِ الْقِيَاسِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

نحمد الله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا، ونسأله -سبحانه وتعالى- أن نكون ممن جلس هذا المجلس المبارك، مجلس صدق، ويجعلنا ممن قام عنه مقام صدق وأن يجعل لنا من لدنه سلطانًا نصيرًا.

كنا قد ابتدأنا في مناقشة موضوع الاعتصام بالكتاب والسنّة، وتدارسنا هذا الموضوع المهم من كتاب البخاري، حيث أن البخاري في كتابه الصحيح المشهور جعل كتابه مجموعة كتب، بدأ بكتاب بدء الوحي وانتهى بكتاب التوحيد، وفي أواخر كتابه الصحيح أتى بهذا الكتاب وهو كتاب الاعتصام بالكتاب والسنّة، أراد به مناقشة أمر مهم للناس من أن أتى النبي الكريم إلى أن تقوم الساعة، وهو طريق النجاة فإن طريق النجاة على الحقيقة هو الاعتصام بالكتاب والسنّة.

كلمة الاعتصام فيها من المعاني الكثير، وأهم شيء أنها موجودة في كتاب الله، والاعتصام أمر أُمرنا به، نعبد الله بالاعتصام وبمناقشة مسألة الاعتصام؛ لأن الله في كتابه قال: (وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ) واعتصموا: هذا فعل أمر. وهذا من أظهر أنواع الأوامر؛ أن يأتي الأمر بفعل أمر. (وَاعْتَصِمُوا) أي: اعبدوا الله بالاعتصام بالكتاب والسنّة. وهذا ليس أمرًا اختياريًا، من يعبد الله، يعتصم بالكتاب والسنّة، والاعتصام واضح جدًا في معنى حروفه؛ لأن الله -عزَّ وجلَّ- يقول: (وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ)، يعني المعتصم مُدّ له بحبل من السماء وهو يتمسّك به؛ ولذلك قال النبي -صلَّى الله عليه وسلَّم-: «فإنَّ هذا القرآنَ سببٌ طرَفُه بيدِ اللهِ وطرَفُه بأيديكم فتمسَّكوا به فإنَّكم لنْ تضِلُّوا ولن تهلِكوا بعدَه أبدًا»[1] فمن اعتصم به نجا.

إذًا الاعتصام عبادة في نفسه وأيضًا هذه العبادة تأتي من ورائها النجاة، يعني ليس مجرد عبادة -وكل العبادات لها مصالح- تُصلح نفسك ومآلك، لكن هذه العبادة بالذات أثرها على الإنسان أنه ينجو عندما يلقى ربه (وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا).

---

[1]() أخرجه ابن حبان (122).

هناك أوصاف للمعتصم بكتاب الله -كما اتفقنا-:

الوصف الأول: يستغنى بالكتاب والسنّة عن كل شيء.

عندما يريد أن يفهم شيئًا في الحياة عن نفسه، أو عن الناس، أو عن الواقع الماضي أو المستقبل، لا يحتاج أكثر من أن يقرأ في كتاب الله، مثلًا عندما يريد أن يعلم من أين أتى الناس؟ يقرأ في كتاب الله، ويقرأ أول قصة أتت في القرآن: أن الله خلق آدم بيده -سبحانه وتعالى- وأسجد له الملائكة، يعني لسنا بحاجة للكلام عن نظرية دارون وأن الإنسان تطور ولا أنه كان خلية حقيرة ثم أصبح قردًا ثم آدمي! لأنك بمجرد أن تفتح القرآن تجد أول قصة هي قصة خلق آدم وإسجاد الملائكة له، فأنت لست بحاجة للتخبط، ثم أصبحت من سلالة من ماء مهين.

ثم إلى أين المصير؟ يأتيك الخبر أن الناس يفترقون، وهناك صالحون وفاسقون، وأننا سنلقى ربنا وأننا إليه راجعون.

فتعلم من أين أتيت وإلى أين المصير، ثم ماذا يجب عليّ أن أفعل في الوسط؟ سيكون الأمر واضحًا، لا تحتاج من أحد أن يقول لك: "اذهب يمنةً" أو "اذهب يسرةً" ، أنت تعلم من أين

أتيت، وكيف كرّمك الله وأسجد الملائكة لأبيك، وأن عدوك الشيطان، وتعلم كل التفاصيل وإلى أين ستذهب ومن الناجي ومن الهالك، كيف تزكي نفسك؟ وصفت لك نفسك: (وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ)[2].

إذًا تسمع في القرآن أن أوصافنا أننا شحيحون، وتسمع عن عجلنا (خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ)[3] فنعالج هذه المسألة، يعني من أنت؟ ما صفاتك؟ ماذا يجب أن تفعل لتزكي نفسك وتطهرها وتكون أحسن الناس وتصل؟ كله في كتاب الله، تريد أن تربي أبناءك، اقرأ مثلًا في كتاب الله سورة لقمان تجد مرادك، تريد أن ترى كيف يعامل الأبناء آباءهم عندما يكونون على طريق غير المستقيم، اقرأ ماذا فعل إبراهيم -عليه السلام- مع أبيه في كل القرآن، وعندما حاوره في سورة مريم.

إذًا كل ما تريد موجود في كتاب الله، لكن الأمة مصابة بالكسل، بمعنى أي أحد يأتي ببرامج جاهزة لتطوير الذات وإصلاح المجتمع والتربية، نقوم بعملية الاستيراد لها، ويصح أن تستورد

---

[2] () الحشر: 9.

[3] () الأنبياء: 37.

شيئًا تصلح به الأرض، أو تستورد جوالًا، أو كمبيوتر، لكن عندما نصل عند النفس، لا يُصلحها إلا ما أتى في كتاب الله وسنّة رسوله.

إذًا أول صفة نكررها على أنفسنا إلى أن تدخل أعماقنا، إلى أن نتحرك تجاهها: أن المعتصم مستغنٍ بالكتاب والسنّة عن غيرهما، لابد أن نحقق حديث رسول الله: «ليس منَّا مَن لم يتغَنَّ بالقرآنِ»[4]. قال البخاري: "يتغنّى: يستغني"، فمن يتغنّى بالقرآن، يستغني به عن غيره، يعني تشعر أنك في كفاية من كل شأن، لست بحاجة لاستيراد أفكارًا تُصلح بها نفسك أو مجتمعك أو أبناءك أو اقتصادك.

وإذا بدأت بالاستغناء، فهو مشاعر يلحقها عملٌ، ما هو العمل؟ التعلم، تستغني بالقرآن إذًا كلما احتجت، تعلمت كتاب الله وسنّة رسوله.

إذًا الوصف الثاني للمعتصم: يتعلّم كتاب الله وسنّة رسوله.

الوصف الثالث: يتعلم الكتاب والسّنة اقتداءً بسنّة رسول الله، يعني عندما تنظر للنصوص لا تتعالم ولا تفتي نفسك، عندما تنظر للنصوص لا تتعالم، بل افهم مثلما فهم السلف الصالح، بمعنى:

---

[4]() أخرجه البخاري (7527).

عندما نقول في سورة الفرقان: (وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا) فهذه أمنية المفترض أن نشترك فيها جمعيًا؛ لأن كل من تكون له إمامًا، يكون في ميزانك، وخصوصًا النساء لابد أن يكونوا للمتقين إمامًا؛ لأن أبناءهنّ وأحفادهنّ وقرابتهنّ، هنّ بالنسبة لهم إمام، وما تنقشه المرأة في السنوات الأولى من عمر الأبناء، يجعلها عبارة عن إمام، وقد نقل البخاري كلام مجاهد فقَالَ: "أَئِمَّةً نَقْتَدِي بِمَنْ قَبْلَنَا، وَيَقْتَدِي بِنَا مَنْ بَعْدَنَا." يعني لا نخترع! بل نقتدي بمن قبلنا، ويقتدي بنا من بعدنا؛ ولذا مثلًا تريدين أن تصوّمي ابنتك أو ابنك في رمضان، فتقرئين في السنّة أن الرُّبَيِّعُ بِنْتُ مُعَوِّذِ، هذه امرأة من الصحابيات، كانت تُلهّي صغارها حتى يأتي وقت الإفطار؛ لتدرّبهم على الصيام. إذًا لكِ في هذا التدريب سابقة، وهكذا تفتشين وتفتشين حتى تجدي ما تريدين.

مثلًا نسمع عائشة -رضي الله عنها- تقول: "أَقْبَلَتْ فَاطِمَةُ تَمْشِي كَأَنَّ مِشْيَتَهَا مَشْيُ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، فَقالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: «مَرْحَبًا بابْنَتي.»[5]" ، «مَرْحَبًا بابْنَتي» هذه الجملة

[5]() أخرجه البخاري (3623، 3624).

جميلة من كلام رسول الله، وإن قلتها، تكونين تابعتِ ما قاله رسول الله -صلَّى الله عليه وسلّم-.

كان من كلام النبي إذا طُلب منه شيءٌ، أن يقول: «أَبْشِرْ»[6]، إذًا عندما نتكلم بهذه الكلمة وتكون لنا سابقة فيها، ستكون مشاعرنا تجاهها غير حينما تكون من كلامنا. وبهذا نكشف عن أنفسنا الجهل بتعلّم السنّة.

الشاهد: أن من اعتصم بالكتاب والسنّة، بذل كل جهوده في تعلّم الكتاب والسنّة، وعندما يتعلمهما لا يعطيهما معنى من عنده، بل يتعلم مقتديًا بمن سبقه.

الوصف الرابع للمعتصم: لا يتعدى في الأسئلة حتى يصل إلى التعمق أو الغلو أو التنازع في الدين!

عندما يتعلم السنّة، من المؤكد ستظهر له أسئلة كما مرّ معنا، من حقه أن يسأل، لكن المهم أن يكون هذا السؤال يزيد الإيمان. لا تتعدَّ في الأسئلة حتى تصل إلى التعمق، إلى الغلو والتنازع في الدين! هذه ليست أسئلة صحيحة ولا في مكانها، بل اسأل ما

[6]() عن أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: " كُنْتُ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ نَازِلٌ بِالْجِعْرَانَةِ بَيْنَ مَكَّةَ وَالمَدِينَةِ، وَمَعَهُ بِلاَلٌ، فَأَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَعْرَابِيٌّ فَقَالَ: أَلاَ تُنْجِزُ لِي مَا وَعَدْتَنِي؟ فَقَالَ لَهُ: أَبْشِرْ.

يزيدك إيمانًا، مثلًا قرأت في سورة الكهف وسمعت عن أخبار الفتية الذين آمنوا بربهم وزادهم الله هدىً، هذه فائدة عظيمة تعلمتها، أن هؤلاء قاموا فقالوا: (رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ)[7]، يعني نظروا لأدلة الربوبية؛ فآمنوا بربهم بدون رسول، بل وصلوا بالفطرة السوية بالإضافة للآيات الكونية، ثم حصلت حادثة الكهف...إلى نهاية ما ورد في السورة، ثم تترك كل هذا وتسأل: "أين كانوا؟ ما أشكالهم؟ ما أسمائهم؟"! هذه الأسئلة لا فائدة لها في الإيمان، ثم يأتي من يجيبك فتقول له: "لكني سمعت شيئًا آخر"! وندخل في نزاع ليس له داعٍ، وهذا مثال بسيط وهناك الأخطر والأصعب من هذا!

إذًا في القرآن والسنّة نتعلم كما أتتنا النصوص وكما فهمها السلف الصالح، ونسأل لا مانع من السؤال، خصوصًا أن البخاري وهو يعقد (بَابُ الاِقْتِدَاءِ بِسُنَنِ رَسُولِ اللَّهِ -صلَّى الله عليه وسلّم-). أورد كلام ابن عون: (ثَلَاثٌ أُحِبُّهُنَّ لِنَفْسِي وَلِإِخْوَانِي، هَذِهِ السنّة أَنْ يَتَعَلَّمُوهَا، وَيَسْأَلُوا عَنْهَا، وَالْقُرْآنُ أَنْ يَتَفَهَّمُوهُ وَيَسْأَلُوا عَنْهُ، وَيَدَعُوا النَّاسَ إِلَّا مِنْ خَيْرٍ)، إذًا

[7]() الكهف: 14.

مسموح لك أن تسأل، لكن لا تتعدَّ في السؤال ما يوقعك في التنطّع، في الغلو، في التعمق.

كان هذا آخر نقاشنا في الباب الخامس، سنبدأ الآن في الباب السادس.

بَابُ إِثْمِ مَنْ آوَى مُحْدِثًا رَوَاهُ عَلِيٌّ، عَنِ النَّبِيِّ -صلَّى الله عليه وسلَّم-.

• حدثنا مُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَاحِدِ، حَدَّثَنَا عَاصِمٌ، قَالَ: قُلْتُ لِأَنَسٍ: أَحَرَّمَ رَسُولُ اللَّهِ -صلَّى الله عليه وسلَّم- الْمَدِينَةَ؟ قَالَ: نَعَمْ مَا بَيْنَ كَذَا إِلَى كَذَا، لَا يُقْطَعُ شَجَرُهَا مَنْ أَحْدَثَ فِيهَا حَدَثًا فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ.

قَالَ عَاصِمٌ: فَأَخْبَرَنِي مُوسَى بْنُ أَنَسٍ أَنَّهُ قَالَ: أَوْ آوَى مُحْدِثًا.

← أولًا نرى علاقة الباب بالسابق وسيظهر مباشرة علاقته بالاعتصام.

اسم الباب السابق: بَابُ مَا يُكْرَهُ مِنَ التَّعَمُّقِ وَالتَّنَازُعِ فِي الْعِلْمِ وَالْغُلُوِّ فِي الدِّينِ وَالْبِدَعِ. البدع تسير معنا للباب التالي وهو بَابُ إِثْمِ مَنْ آوَى مُحْدِثًا.

سيأتي كلام عن إثمٍ -ليس إثم من أحدث في الدين بل- من آوى محدثًا، لنتصور خطر الإحداث في الدين سواء كان الناتج من البدع أو الناتج من التنازع أو التعمق أو الغلو، هذه الأشياء لها نتائج، الكلام في الباب التالي ليس عمن فعل الغلو أو التعمق أو البدع، بل الكلام عمن آوى من يفعل هذه الأمور! لنرى إلى أي درجة المسألة خطيرة، وعلاقتها بالاعتصام واضحة، هل المعتصم بالكتاب والسنّة يتعمق في الدين أم يأخذ من دين الله كما أتى؟ يأخذه كما أتى، هل المعتصم يخترع ويبتدع ويرى نفسه مُشرِّعًا؟ الجواب: لا، ولذا انظر الآن أصبح الابتداع أمرًا يسيرًا جدًا نتيجة وجود وسائل الاتصال، عندما يأتي أحد يريد أن يشجع أحدًا على طاعة أو عبادة، النيَّة جيدة، لكن لا تنفع النية أصحابها دائمًا، فيخترع قصة أو أجرًا على الفعل، بمعنى أنه حديث وينشره بين الناس على أن هذا أجر من سبّح، أجر من صلى، ولم يثبت في الكتاب والسنّة، فيفكر الناس في أن هذا لا بأس به لأنه أجر! نقول: لا، المعتصم بالكتاب والسنّة يرى أن النبي قد أكمل الرسالة، لا يوجد باب من أبواب الأجر يوصل لله ولرضاه إلا وقد

دلَّنا عليه النبي -صلى الله عليه وسلم-، المراد من البدعة هو اتِّهام النبي واتِّهام الله بإنقاص الدين.

المشكلة ليست فقط فيمن اخترع، بل فيمن آوى المخترع، من هو الذي آوى المخترع اليوم في وسائل الاتصال؟ من يقول مثلًا: "انشر تؤجر!" فينشرون في مجموعاتهم فيكونون كمن آوى مُحدِثًا في الدين، هي ليست بالضبط لكنها خطيرة، أن ينشر الإنسان ما يعلم أنه كذبٌ على رسول الله، وقد قال النبي -صلى الله عليه وسلم- في الحديث: «ومَن كَذَبَ عليَّ مُتَعَمِّدًا فليَتَبَوَّأْ مَقعَدَه مِنَ النَّارِ.»[8] ، هذا معناه أن من يأتيه شيء لابد أن يتأكّد هل هذا من كلام رسول الله أو لا، إذا كنت لا تملك قدرة على التحرير، إذن لا تنشر، نشر الباطل هو الإشكال، عندما تنشر الباطل تصور عندما يُقال: "إن فعلت كذا سيكون لك أجر كذا" معناه أنه يتكلم عن الله ويحكم أن الله سيفعل كذا كذبًا و زورًا، لابد أن تتصور ما هو بُعد التعدي على رسول الله وعلى الله، وسيأتينا خطر الكلام على الله بلا علم.

[8]() أخرجه البخاري (3461).

نقف عند بَابُ إِثْمِ مَنْ آوَى مُحْدِثًا، الباب السابق بيّن أن هناك من يُحدث في الدين بسبب التنازع في الدين، التعمق، البدع، الغلوّ، يحدث الإحداث، في هذا الباب سنناقش من آوى هذا المحدث، قال: (بَابُ إِثْمِ مَنْ آوَى مُحْدِثًا؛ رَوَاهُ عَلِيٌّ، عَنِ النَّبِيِّ -صلَّى الله عليه وسلَّم-) يقصد بها حديث: «لعن الله من آوى محدثًا»، ثم أتى بحديث آخر قال: (حدثنا مُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَاحِدِ، حَدَّثَنَا عَاصِمٌ، قَالَ: قُلْتُ لِأَنَسٍ: أَحَرَّمَ رَسُولُ اللَّهِ -صلَّى الله عليه وسلَّم- الْمَدِينَةَ؟) ما المقصود بحرمة مكة أو المدينة؟ يعني أن هذه القطعة من الأرض حرّمها الله، بمعنى أن هناك عدة أمور ممنوعة فيها تعظيمًا لها، وتحريمها من تحريم إبراهيم -عليه السلام-، يعني أن هذه الأمور حُرِّمت وقتما بنى إبراهيم البيت، والمدينة حُرِّمت من تحريم النبي -صلَّى الله عليه وسلَّم-.

قَالَ: (نَعَمْ، مَا بَيْنَ كَذَا إِلَى كَذَا، يعني منطقة لَا يُقْطَعُ شَجَرُهَا مَنْ أَحْدَثَ فِيهَا حَدَثًا -يعني في المدينة- فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ). هذا على نفس الفاعل الذي أحدث، قَالَ عَاصِمٌ:

(فَأَخْبَرَنِي مُوسَى بْنُ أَنَسٍ أَنَّهُ قَالَ: أَوْ آوَى مُحْدِثًا). يعني لعنة الله والملائكة والناس أجمعين على من؟ على اثنين، على المحدث وعلى من آوى محدثًا.

من هو المحدِث؟ المحدث يشمل الظالم، والجاني، والمفسد في الأرض. مثلًا أحداث الإرهاب يأتي شخص يعتدي على المسلمين ثم يأتي أحد من قرابته، أو من صحبته، أو من يرضى بفعله ويخبّئه، فاللعن يأتي على من أحدث بالقتل مخالفًا للسنة، وعلى من آواه وخبَّأه أو ساعده، الاثنان يدخلان في اللعن، لماذا الاثنان يصبحان في حكم واحد؟ لأن من رضي عن الفعل كأنه فاعل، وإن لم يشارك في الفعل.

هذا بالنسبة للإحداث بهذه الجرائم، لنرى الذي يحدث البدع في الدين، يأتي من يُحدث بدعة في الدين، بمعنى أنه يخترع شيئًا لم يكن موجودًا في الدين، فأنت لست مخترعًا، لكنك تشاركه في الاختراع، أو تنشره أو تنشر كتبه مثلًا، فيصبح إثم هذا النشر كإثم من فعله تمامًا؛ ولذلك لابد من الحذر من نشر الفكر الذي لا نعلم صحته، مثلًا: يأتي من يستعمل أدلَّة الكتاب والسنّة على باب من

أبواب الفلسفة، فيلوي عنق النصوص ليستدل على أشياء فلسفية، يقوم بتقديم دورة مثلًا في البرمجة اللغوية، فنعلن له ونساعده على نشر موقعه، هذا يُعتبر نوعًا من أنواع الإيواء؛ لأن الناس يقبلون المنكر والبدعة عندما تنتشر، فيعتقدون بسبب الجهل أنها شيء من الدين، فنكون بهذا مشاركين في البدع.

الشاهد أن من آوى محدثًا فكأنه فعل فِعل المحدث، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين. الحديث يتكلم عن المدينة خاصة والعلماء قالوا: "المدينة خاصة لعِظمها، لكن هذا الحكم عام"؛ ولذلك قال في البداية: (رَوَاهُ عَلِيٌّ، عَنِ النَّبِيِّ -صلَّى الله عليه وسلَّم- لعن الله من آوى محدثًا) هذه الجملة تدل على أن من آوى محدثًا حكمه على الإطلاق في أي مكان، ثم أورد الحديث في المدينة للدلالة؛ لأنه كلما عظُم شرف المكان كلما كان الإحداث فيه أعظم؛ ولذلك عندما تذهب للحرم وتجد الناس يطوفون، ومعنى الطواف أن يوّحدوا الله، فتجدهم ينادون غير الله! ومناداة غير الله شرك أكبر! لكن كونها في بيت الله وعند باب الله تصبح المسألة أعظم من كونها خارج بيت الله، وإن كانت في كلا

الحالتين عظيمة؛ فمن أجل ذلك لابد من عدم الإيواء وأيضًا هناك خطوة لابد منها على أقل تقدير وهي **الإنكار القلبي** للبدع والمحدثات، وقد اتفقنا على أن ليس كل ما لا تعلمه يعتبر بدعة، فلابد أن تسأل من تثق فيه من أهل العلم ويُجيبك أنها لم ترد في السنّة لتحكم أنها بدعة؛ لأننا قد نكون جاهلين بسنّة النبي، فنأتي نقول على السنّة إن بدعة نتيجة جهلنا، لكن عندما تتأكد من كلام العلماء الثقة أنها بدعة، لابد على أقل تقدير -لتخرج من هذه الآثام- أن تبغضها وتبغض فاعلها وتبغض ظهورها وتبذل جهدك ألا تكون موجودة ولا تنشرها؛ حتى تبتعد عن إثم من آوى محدثًا.

سيأتي الباب التالي يقربنا من مسألة كيف يمكن أن يكون الإحداث :

بابُ مَا يُذْكَرُ مِنْ ذَمِّ الرَّأْيِ وَتَكَلُّفِ الْقِيَاسِ

(وَلَا تَقْفُ): لَا تَقُلْ[9] (مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ)[10]

• حدثنا سَعِيدُ بْنُ تَلِيدٍ، حَدَّثَنِي ابْنُ وَهْبٍ، حَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ شُرَيْحٍ وَغَيْرُهُ، عَنْ أَبِي الْأَسْوَدِ، عَنْ عُرْوَةَ قَالَ: حَجَّ عَلَيْنَا عَبْدُ اللَّهِ

[9]() قوله: "لَا تَقُلْ" عليه صح، وليس عند أبي ذر.

[10]() الإسراء:36.

بْنُ عَمْرٍو فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ -صلَّى الله عليه وسلَّم- يَقُولُ: "إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْزِعُ الْعِلْمَ بَعْدَ أَنْ أَعْطَاهُمُوهُ انْتِزَاعًا، وَلَكِنْ يَنْتَزِعُهُ مِنْهُمْ مَعَ قَبْضِ الْعُلَمَاءِ بِعِلْمِهِمْ، فَيَبْقَى نَاسٌ جُهَّالٌ يُسْتَفْتَوْنَ فَيُفْتُونَ بِرَأْيِهِمْ، فَيُضِلُّونَ وَيَضِلُّون.

فَحَدَّثْتُ[11] عَائِشَةَ زَوْجَ النَّبِيِّ -صلَّى الله عليه وسلَّم-، ثُمَّ إِنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو حَجَّ بَعْدُ، فَقَالَتْ: يَا ابْنَ أُخْتِي، انْطَلِقْ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ فَاسْتَثْبِتْ لِي مِنْهُ الَّذِي حَدَّثْتَنِي عَنْهُ، فَجِئْتُهُ فَسَأَلْتُهُ فَحَدَّثَنِي بِهِ كَنَحْوِ مَا حَدَّثَنِي، فَأَتَيْتُ عَائِشَةَ فَأَخْبَرْتُهَا، فَعَجِبَتْ فَقَالَتْ: وَاللَّهِ لَقَدْ حَفِظَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو.

← نبدأ باسم الباب، بابُ: مَا يُذْكَرُ مِنْ ذَمِّ الرَّأْيِ وَتَكَلُّفِ الْقِيَاسِ.

فيما سبق سمعنا عن المتعمقين، المبتدعين، المتنازعين، وسمعنا أن من آوى هؤلاء، عليه إثم، هنا سمعنا عما يُذكر في ذَمِّ الرَّأْيِ وَتَكَلُّفِ الْقِيَاسِ، يعني كأنه يُقال: التنطُّع، التعمق، التنازع في العلم، البدع، ما مصدرها في الأساس؟ مصدرها الرأي وتكلف

[11]() لأبي ذر وعليه صح.

القياس. سيأتينا معنى تكلف القياس، أضرب مثلًا لنتصور كيف يمكن للإنسان أن يدخل في هذا الباب بدون أن يعلم: عندما يأتي أحد يرى أن الطواف في الصحن قصير، ويرى أن الطواف في الأعلى على مدار الدور الثاني كاملًا، فيقول: "لا يمكن أن يظلمنا ربنا ويكون من يطوف الطواف بالأعلى سبعة أشواط وبالأسفل سبعة أشواط! أكيد المسافة الأكبر يكفي لها فوق شوطًا واحدًا"، فقام بقياس الأمتار! هذا جهل، وهناك من يشبه هذا في التفكير، يأتي من يقيس المسائل على بعضها، فيساويها كأنها معادلة! ويخرج بحكم من عنده، ويتكلم على الله بلا علم! وتأتي المسألة التي لا نشعر بخطورتها نتيجة قلَّة نقاشها. الآن نرى كم أن الشرك خطير، وضربنا مثالًا عن خطورة الشرك وخطورة كيف ينادى غير الله، لكن في كتاب الله، الله جعل القول عليه بلا علم أعلى من درجة الشرك، قال تعالى في سورة الأعراف: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[12] قال أهل العلم: "إن هذه الآية رتبت المحرمات

[12]() الأعراف: 33.

من الأدنى للأعلى."، حرم الفواحش والأعلى منها: الإثم والبغي، والأعلى هو: الشرك والأعلى منه: القول على الله بلا علم. لماذا القول على الله بلا علم يعتبر أعلى منه؟ لأن فيه الشرك وأعلى، من يتكلم كأنه يُوقِّع عن الله، يقول: "بهذا أمر الله، وعن هذا نهى الله." فكأنه إما جعل نفسه مُشرّعًا بدلًا عن الله أو مُشرِّعًا مع الله! فعندما نتكلم في دين الله بلا علم، معناه أننا وقعنا في إثم عظيم؛ ولذا عدم وضوح خطورة التعالم وخطر القول على الله بلا علم؛ نتيجته أن الناس أصبحوا يفتون في أي أمر، حتى في الحرم تأتي هذه المسألة فتجد أن أحدهم يسأل أي أحد ويستفتيه ويعمل بناءً على هذه الفتوى بدون علم! إذًا القول على الله بلا علم في دين الله إثمه عند الله عظيم (قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ) إلى أن تصل إلى (وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ) ، أي شيء لا تعلمه، لا تقله على الله، ولا تقِس، تأتي مسائل كما يحصل في الحج مثلًا تكون طلبت فتوى في مسألة، ثم رأيت شخصًا بجانبك أخطأ خطأً شبيهًا فتقول له: "لا تحتاج أن تسأل، فهذا يشبه هذا!" وتُفتيه بدون علم! وأصبح الحج مجلسًا للفتاوى النسائية والرجالية! صغار وكبار، كلهم

يتكلمون في دين الله، وقد نجد بعض الناس عندما يرمون الجمرات -وهذا يتكرر كثيرًا- أن يُعجِّلوا الرمي في اليوم الثاني عشر، فيرمون الجمرات الصغرى والوسطى والكبرى، فيُوصِّي النساء بعضهم أن يرموا جمرة اليوم الثالث عشر! وكل سنة يُعاد هذا الأمر، كيف تُشاع هذه الفتوى؟! هذه الفتوى ليس لها أي أصل في أي كتاب من كتب العلم! وفي مجالس النساء تتناقل نفس الأخطاء وكل هذه الأفعال من القول على الله بلا علم!

الشاهد أن الجرأة على الكلام في الناس، وفي الأمور الخاصة التي تخصنا، وفي الكلام في الأمور العلمية، وفي الطبخ، وفي غيره، كل هذا تُنهى عنه، تُنهى أن تتكلم بغير علم، لكن عندما نصل للدين تأتي الجريمة، وتصور كيف أن القول بلا علم يُعتبر جريمة، مثال: أنت تريد الذهاب للمطاف وتسأل أحدهم عن طريق المطاف فيبعدك عن الطريق! على الأقل المفترض أن يقول لك: "لا أعلم" لتسأل غيره، هذه الأخطاء في القول بلا علم حتى في الأمور العادية، قد يموت البعض بسببها! قد يصف البعض أدوية أو أعشابًا قد تؤثر على الإنسان سلبًا! هذه كلها تصبح سياسة

وثقافة، وهذا كله يُعتبر هَيِّنًا في مقابل الكلام في دين الله! هذا دين الله إن سكتنا عن التنبيه على خطورة القول على الله بلا علم، فسيكون هناك دين آخر؛ ولذا انظر إلى الفلسفة الآن في كل مكان، كل من اشتهى الكلام، سواء كان صاحب علم أو لا، أو ظهرت عليه آثار الاستقامة أو لا، يخرج ويتكلم في مقاطع ولا تعلم من أين أتى كلامه؟! يقول مثلًا: "من الخطأ أن تقول في دعاء الاستفتاح: وتعالى جَدُّك"، لماذا؟ لأنه فهم أن كلمة "جدّ" تعني: الأب والجد! كيف ونحن نقرأ في سورة الجن: (وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا) جدّ بمعنى: المجد، فلا تتكلم إن كنت لا تعلم، وقِس على هذا، فكل يوم يخرج جاهل باللغة وبالدين وبالقواعد الشرعية وبأمور كثيرة، ويخرج بفتاوى وأمور ما أنزل الله بها من سلطان إلى أن يصبح دين الله دينًا مختلفًا.

المقصد: يجب أن تأخذ العلم من أهله، وليس من أي شخص تقابله، حتى لو فسّر لك آية أو قرأ لك حديثًا، لا يشترط أن يكون له فقه في المسائل الفقهية، مثلًا عندما تنزل في الحرم تجد مكانًا للفتاوى، اسأل أصحاب العلم منهم وكن مطمئنًا لأن الدولة هي

التي عيّنتهم وهم فقهاء خصوصًا في الأمور التي تحصل في الحرم من الطواف والسعي وغيره، لكن الذي يحدث هو خلاف ذلك! لماذا؟ أنت إذا أردت الطبّ فستذهب لأحسن طبيب، فكيف بطبّ الدين، وطب القلب؟! لابد أن تتوجه للأحسن، لكن لماذا يترك الناس المفتي ويذهبون لغيره؟ إما لسهولة الوصول إليه، أو ليقول كلامًا مختلفًا، وكلاهما خطأ.

قال: (وَلَا تَقْفُ) قال البخاري: "معنى (لا تَقْف) أي: لَا تَقُلْ"، وهذا ورد أيضًا عن ابن عباس.

(مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ) معناها ألا نتكلم إلا عندما نكون متأكدين من أن ما نقوله صحيح، وهذا في شأن الدين أو الدنيا؛ لأنه كما اتفقنا ثقافة، أي طريقة في العيش، فإن أخطأت فيها فستخطئ في كل شيء، في دين الله وغيره.

ثم أورد الحديث، ونرى ما علاقة الحديث بهذه المسألة التي هي ما يُذكر من ذم الرأي وتكلف القياس، الرأي يعني لا يعلم مطابقته لأدلة الكتاب والسنّة ولا القياس على أصول القياس.

هذا حديث عن عروة قال: (حَجَّ عَلَيْنَا أي: مرّ علينا حاجًا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ -صلَّى الله عليه وسلَّم- يَقُولُ: "إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْزِعُ الْعِلْمَ بَعْدَ أَنْ أَعْطَاهُمُوهُ انْتِزَاعًا، وَلَكِنْ يَنْتَزِعُهُ مِنْهُمْ مَعَ قَبْضِ الْعُلَمَاءِ بِعِلْمِهِمْ، فَيَبْقَى نَاسٌ جُهَّالٌ يُسْتَفْتَوْنَ فَيُفْتُونَ بِرَأْيِهِمْ، فَيُضِلُّونَ وَيَضِلُّونَ") هذا الحديث سببه: أن النبي -صلَّى الله عليه وسلَّم- سُئل عن زوال العلم ورفعه، فلما قال لهم النبي إن العلم يُرفع، أتى أعرابي وقال: "كيف يُرفع العلم والقرآن بين أيدينا ونقرؤه؟" فأجاب النبي بما يُبيِّن أن حالنا سيشبه حال اليهود والنصارى، فكتبهم موجودة لكنهم مع تحريفها لا يستعملونها، ومع تحريفها توجد فيها دلالة على صدق رسول الله، وحتى مع تحريفها في أصلها يوجد فيها ما يدل على أصول في دين النبي -صلَّى الله عليه وسلَّم-! لكنهم ليس لهم علاقة بكتبهم. فالمعنى أن الكتب تبقى ويزول العلم، والسبب؟ السبب يشبه السبب الذي نتداوله دائمًا، فهم «يقرأونَ القرآنَ لا يُجاوزُ تَرَاقِيَهُمْ»[13]، و «يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كما يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ»[14]، يعني أن

---

[13] () أخرجه ابن ماجه (168).

[14] () أخرجه أحمد (11579).

هناك قراءة واهتمامًا بالكتاب، وأنتم ترون أن مدارس التحفيظ اليوم على مستوى العالم الإسلامي أصبحت أضعاف ما كانت عليه في السنين الماضية، لكن انظر لحال المسلمين! التدهور واضح، وما السبب؟ يقرأون القرآن لا يجاوز تراقيهم.

معناه أن العلم لا تُنتزع كتبه، بل يُنتزع من يفهم هذا العلم؛ ولذلك قال النبي -صلى الله عليه وسلم- : (إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْزِعُ الْعِلْمَ بَعْدَ أَنْ أَعْطَاهُمُوهُ انْتِزَاعًا، وَلَكِنْ يَنْتَزِعُهُ مِنْهُمْ مَعَ قَبْضِ الْعُلَمَاءِ بِعِلْمِهِمْ، فَيَبْقَى نَاسٌ جُهَّالٌ يُسْتَفْتَوْنَ فَيُفْتُونَ بِرَأْيِهِمْ، فَيُضِلُّونَ وَيَضِلُّونَ)، ليس العلم نفسه الذي يُرفع، بل يموت العلماء وطلبة العلم، عندما يموتون سيموت العلم معهم، وهناك مصيبة أخرى وهي أن يبقى جُهَّال -أهم شيء ألا نكون نحن هؤلاء الجهال؛ لكيلا ندخل في الحديث دون أن نشعر- يُستفتون فيفتون بغير علم، والنتيجة أنهم يضلون أنفسهم ويضلون الناس؛ ولذلك تجد كثيرًا ما يُلمَّع شخصيات في الإعلام لسنين والناس يستفتونهم، ثم يذهبون ويأتي غيرهم! لدرجة أن كثيرًا من هؤلاء يُخدمون من جهات خارجية، وتُصرف عليهم أموال من أجل أن يخرجوا للناس،

ويُلمِّعونهم حتى تكون لهم صورة ويقبلهم الناس ويستفتونهم، فيفتوهم بغير علم، ثم يذهبون ويأتي غيرهم، ويشعر بهم من هم على المنهج، يعني من يعلم روح الكتاب والسنّة؛ ولذلك كان حذيفة يقول: "إن على الحق نورًا." فمشاعرك تجاه الأشياء ليست كافية، لكن على الأقل إن لم يوجد من يدلنا، علينا أن نستجير بالله من أن نتبع أحدًا بنفسه ضالًا ويضلنا ورائه.

إذًا هذا موجود وحاصل ومُخطط له، وكما أن هذا كله حاصل، كذلك العلم والطلب ومحبة العلم ونشره موجود كثيرًا -الحمدلله-، ومن شواهده هذا المجلس -نسأل الله أن يجعله مجلس علم وخير وبركة. -

الشاهد من الحديث واضح وهو: أن في آخر الزمان لن يُنزع العلم من جهة الكتب، وإنما بموت العلماء، وبأن يأتي بدلًا عنهم من يتكلم برأيه بدون علم.

بعد ذلك هناك تعليق على الحديث، يقول عروة: (فَحَدَّثْتُ عَائِشَةَ زَوْجَ النَّبِيِّ -صلَّى الله عليه وسلَّم-، ثُمَّ إِنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو حَجَّ بَعْدُ) يعني في السنّة التالية، (ومرّ عليهم حاج فَقَالَتْ: يَا ابْنَ أُخْتِي

-يعني عروة- انْطَلِقْ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ -وعبد الله كان معروفًا برسوخه في العلم والعمل- فَاسْتَثْبِتْ لِي مِنْهُ في قوله هذا الَّذِي حَدَّثْتَنِي عَنْهُ، فَجِئْتُهُ فَسَأَلْتُهُ -وهذا دليل على أن عائشة خائفة من هذه الحال- فَحَدَّثَنِي بِهِ كَنَحْوِ مَا حَدَّثَنِي -يعني كأنها تريد أن تتأكد من أن هذا الحديث صحيح، وسيحصل في الأمة ويُنتزع العلم بموت العلماء، وهي كانت ترى العلماء أمامها يموتون- فَأَتَيْتُ عَائِشَةَ فَأَخْبَرْتُهَا، فَعَجِبَتْ -يعني ذهب لعبد الله بن عمرو وسأله عن الحديث، وقال له مثلما قال سابقًا- فَقَالَتْ: وَاللَّهِ لَقَدْ حَفِظَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو -ومرّ معنا أن عبد الله بن عمرو من كبار الصحابة الذين حفظوا سنّة النبي وقد ظهر عليه علمًا وعملًا؛ ولذا نضع لأنفسنا مقياسًا: مَن سنأخذ منه العلم، يجب أن يظهر عليه أثر العلم عملًا، على قدر المستطاع والله يوفقنا للعمل الصالح!

نأتي للحديث الثاني في الباب:

- حدثنا عَبْدَانُ، أَخْبَرَنَا أَبُو حَمْزَةَ، سَمِعْتُ الْأَعْمَشَ، قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا وَائِلٍ هَلْ شَهِدْتَ صِفِّينَ؟ قَالَ: نَعَمْ، فَسَمِعْتُ سَهْلَ بْنَ حُنَيْفٍ يَقُولُ. ح وَحَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ، حَدَّثَنَا أَبُو عَوَانَةَ، عَنِ

الْأَعْمَشِ، عَنْ أَبِي وَائِلٍ قَالَ: قَالَ سَهْلُ بْنُ حُنَيْفٍ: "يَا أَيُّهَا النَّاسُ، اتَّهِمُوا رَأْيَكُمْ عَلَى دِينِكُمْ، لَقَدْ رَأَيْتُنِي يَوْمَ أَبِي جَنْدَلٍ وَلَوْ أَسْتَطِيعُ أَنْ أَرُدَّ أَمْرَ رَسُولِ اللَّهِ -صلَّى الله عليه وسلَّم- لَرَدَدْتُهُ، وَمَا وَضَعْنَا سُيُوفَنَا عَلَى عَوَاتِقِنَا إِلَى أَمْرٍ يُفْظِعُنَا، إِلَّا أَسْهَلْنَ بِنَا إِلَى أَمْرٍ نَعْرِفُهُ غَيْرَ هَذَا الْأَمْرِ، قَالَ: وَقَالَ أَبُو وَائِلٍ: شَهِدْتُ صِفِّينَ، وَبِئْسَتْ صِفُّونَ"

← هذا الحديث نفهمه جملة جملة.

هذا حوار بين الأعمش وأبي وائل، أبو وائل مُخضرم، بمعنى أنه أدرك النبي ولم يره، سُئل: (هَلْ شَهِدْتَ صِفِّينَ؟) قال: (نعم، فَسَمِعْتُ سَهْلَ بْنَ حُنَيْفٍ) هو أبو ثابت الأنصاري، وهو صحابيّ بدريّ، وشهد أحدًا، وشهد مع النبي -صلَّى الله عليه وسلَّم- البيعة حينما كانوا في الحديبية، فسهل ابن حنيف ماذا يقول؟ (يَا أَيُّهَا النَّاسُ، اتَّهِمُوا رَأْيَكُمْ عَلَى دِينِكُمْ) بمعنى لا تحكموا برأيكم على الدين، لكن متى قال هذا الكلام؟ قاله عندما كان في جيش عليّ -رضي الله عنه- وقصة التحاكم معلومة، عندما قُتل عثمان وقتله الخوارج، ثم طالب معاوية -رضي الله عنه- بدم عثمان وكان من

قتل عثمان في جيش علي، وعليّ -رضي الله عنه- أراد ردّ الفئة الباغية بمعنى التي اعتدت على أن يضعهم تحت السلطان، ثم يأخذ حقهم من القتلة، ودخلوا في قتال، وفي هذا اليوم -الذي هو صفين- يقول بعدما دخلوا في قتال أرسل معاوية -رضي الله عنه- "أن نتحاكم إلى القرآن ويتوقف القتال." وصل الخبر لعليّ وقَبِل أن يتوقف القتال حفاظًا على المسلمين ويتحاكموا إلى كتاب الله، في هذا الوقت أتى الخوارج الذين خرجوا على عليّ -رضي الله عنه-، وقالوا قولًا قال عنه عليّ: "إنها كلمة حق أُرِيدَ بها باطل"، قالوا إنهم يريدون أن يحكموا بكتاب الله، لا حكم إلا لله، فقال عليّ: "إنها كلمة حق أُرِيدَ بها باطل"، هم يريدون بها أن لا يتحاكمون إلى الكتاب بل يخرجون ويقتلونهم، فأتى سهل بن حنيف واعظًا لهم، يعني علي -رضي الله عنه- عندما أراد الخوارج الخروج أرسل لهم الصحابة يخاطبونهم حتى في رواية ابن عباس يقول: "إنه أتى على خيامهم في الليل" يقول: "لهم دويّ في قراءة القرآن كدويّ النحل" لكن هؤلاء هم الذين وصفهم الرسول بقوله: «يقرأونَ القرآنَ لا يُجاوزُ تَرَاقِيَهُمْ» فما قبلوا طاعة علي -رضي

الله عنه- فأتاهم سهل بن حنيف يقول لهم: (يا أيها الناس) أي الخوارج الذين ما رضوا بالتحاكم (يَا أَيُّهَا النَّاسُ، اتَّهِمُوا رَأْيَكُمْ عَلَى دِينِكُمْ.) يعني لا تحكموا برأيكم على رأي علي -رضي الله عنه- (لَقَدْ رَأَيْتُنِي يَوْمَ أَبِي جَنْدَلٍ) من أبو جندل؟ أبو جندل هذا الذي حصل له موقف وقتما كتب النبي -صلَّى الله عليه وسلَّم- الصحيفة مع المشركين وأقروا بأنه إن أتى أحد من المسلمين من مكة ما يقبلونه، فأتى أبو جندل وهو مكبل والنبي -صلَّى الله عليه وسلَّم- لم يتم بعد كتابة الصحيفة، فأصر المشركون على ردّ أبي جندل، فسهل بن حنيف يقول: (لَقَدْ رَأَيْتُنِي يَوْمَ أَبِي جَنْدَلٍ وَلَوْ أَسْتَطِيعُ أَنْ أَرُدَّ أَمْرَ رَسُولِ اللَّهِ -صلَّى الله عليه وسلَّم- لَرَدَدْتُهُ) يعني عندما قاس بعقله قال: "الصحيفة ما انتهينا منها، وقد وصل إلى معسكرنا، فكيف نرده إلى الكفار؟ ثم لماذا نقبل بذلك، ويمكننا قتالهم؟" لكنه يقول: (اتَّهِمُوا رَأْيَكُمْ عَلَى دِينِكُمْ.) يعني في ذاك اليوم كان يرى أنه إن استطاع ردّ أمر النبي لردّه، لكن عندما امتثلوا الأمر وانقادوا له، بعدها سمى الله صلح الحديبية فتحًا، وانتشر الإسلام بعدها وأتت خيرات كثيرة إن قيست بالعقل، ما

كان لعقل أن يأتي بها، فيقول لهم سهل بن حنيف: (اتَّهِمُوا رَأْيَكُمْ عَلَى دِينِكُمْ.) المسألة ليست كما ترونها.

الآن سيصف الموقف قال: (وَمَا وَضَعْنَا -يعني بعدما استقرت أمورهم وبدؤوا يحاربون في عهد عمر وأبي بكر- سُيُوفَنَا عَلَى عَوَاتِقِنَا إِلَى أَمْرٍ يُفْظِعُنَا -يعني أمر نخاف منه- إِلَّا أَسْهَلْنَ بِنَا إِلَى أَمْرٍ نَعْرِفُهُ) بمعنى أنهم في كل مرة يقاتلون، يقاتلون الطرف الثاني المشرك والكافر، فيبدؤون بالأمر الصعب وعندما يدخلون يأتيهم العون من الله إلا هذا الموقف (غَيْرَ هَذَا الْأَمْرِ.) يقصد صفين. لماذا؟ لأنه أمر مُشكل! إذا نظروا إلى معاوية قالوا: "أتى ليأخذ دم ابن عمه!"، وإذا نظروا لعلي قالوا: "سلطان يريد أن يفرض سلطته!"، فالأمر مُشكل، فكان الأصلح ألّا يكون للإنسان رأي.

(قَالَ: وَقَالَ أَبُو وَائِلٍ: شَهِدْتُ صِفِّينَ، وَبِئْسَتْ صِفُّونَ.) يعني يذمها.

الشاهد من هذا الكلام: أنه ليس شرط أن يكون لنا رأي في كل أمر، خصوصًا في المسائل المتصلة بدين الله، غير صحيح كلما

حصلت حادثة من الحوادث الواقعة عند الناس الجديدة أن أقول: "رأيي كذا؟" الرأي اتهمه على دين الله، النوازل التي تنزل على المسلمين سواء في بلدانهم أو ما يخص أعمالهم، هذه تحتاج إلى علماء يفتون فيها، وليس نحن ونحن جالسون على أريكتنا! وأنتم ترون الناس كلما حصلت نازلة كتبوا تغريدات وكتبوا معلومات وآراء كأنهم في كل شيء يفهمون! وهذا دليل على أن المسلمين وصلوا إلى الخروج من حديث: «من حُسنِ إسلامِ المرءِ تركُه ما لا يَعنيهِ»[15]، هناك أمور كثيرة لا تعنينا، لكن نجد أنفسنا مع وسائل التواصل الاجتماعي نقول: "كيف يكتب كل الناس وأنا لا أكتب ولا أتكلم؟!" فيقولون رأيهم في كل شيء إلى أن يصلوا للدين ويتكلمون برأيهم فيما لا يفقهون!

من أجل ذلك المعتصم لا يدخل بآرائه في دين الله ولا يقِس المسائل.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

[15]() أخرجه الترمذي (2317).